

سورة الإنفطار

مكية، وآياتها ١٩

[نزلت بعد النازعات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾﴾

﴿أَنْفَطَرَتْ﴾ انشقت ﴿فُجِرَتْ﴾ فتحت بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينهما، وصارت البحار بحرًا واحدًا وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار، فتصير مستوية، وهو معنى التسجير عند الحسن، وقرئ: فجرت، بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف. بمعنى: بغت لزوال البرزخ نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَبْيِغَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] لأن البغي والفجور أخوان. بعشر وبحشر بمعنى ٢/٢٥٦، وهما مركبان من البعث والبعث مع راء مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاهما. وقيل: لبراءة المبعثرة؛ لأنها بعثت أسرار المنافقين.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ أَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا سَاءَ رُكْبَكَ ﴿٨﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ وكيف يطابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به^(١)، وإنما يغتر بالكريم، كما يروي عن علي - رضي الله عنه - أنه صاح بغلام

(١) قال محمود: «إن قلت: قوله ما عرفك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم... الخ؟ قال أحمد: حجة الزمخشري ههنا فارغة؛ فإن الآية إنما وردت في الكفار، بدليل قوله: (كلا بل تكذبون بالدين) ونحن نوافق على خلودهم وانقطاع معاذيرهم، لا على أن تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، فإن الله لا يجب عليه شيء. ويجوز عقلاً أن يشيب الكافر ويخلده في الجنة، وبالعكس في المؤمن؛ ولولا ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه، لكان ما ذكرناه في الجواز والاحتمال؛ فإن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

له كزّات فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال له: ما لك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه (١٧١٧)، وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. قلت معناه أنّ حق الإنسان أن لا يفتّر بتكريم الله عليه، حيث خلقه حيّاً لينفعه، ويتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالشواب وطرح العقاب، اغتراراً بالتفضل الأول، فإنه منكر خارج من حد الحكمة، ولهذا: قال رسول الله ﷺ لما تلاها. «غزّه جهله» (١٧١٨) وقال عمر - رضي الله عنه - : غزّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غزّه والله شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت، فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولاً وهو متفضل عليك آخرًا، حتى ورّطه وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ﴿مَا غَزَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ماذا تقول؟ قال أقول: غزّرتني ستورك المرخاة. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم: إنما قال ﴿رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دون سائر صفاته، ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غزّرتني كرم الكريم. وقرأ سعيد بن جبير: «ما أغزّك» إما على التعجب، وإما على الاستفهام؛ من قولك: غزّ الرجل فو غارًا: إذا غفل، من قولك: بيتهم العدو وهم غارون. وأغزّه غيره: جعله غارًا ﴿فَسَوَّكَ﴾ فجعلك سويًا سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحمًا وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا لا كالبهائم. وقرئ «فعدلك» بالتخفيف وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون بمعنى المشدّد، أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ فصرفك. يقال: عدله عن الطريق يعني: فعدلك عن خلقه غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق. أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات. ﴿فَمَا﴾ في ﴿مَأْسَاةٍ﴾ مزيدة، أي: ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، والشبه

١٧١٧ - بيض له الزليعي في تخريج الكشاف (١٦٧/٤) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

١٧١٨ - رواه الواحدي في «الوسيط» (٤٣٥/٤) عن صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه

الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَزَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ثم قال: جهله.

وعزاه الزليعي في تخريج الكشاف (١٦٧/٤) للثعلبي في تفسيره وأبي عبيد في فضائل القرآن وكذا عزاه الحافظ لأبي عبيد في فضائل القرآن أيضًا.

قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في فضائله عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان، عن صالح بن مسمار قال بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فذكره. انتهى.

بعض الأقارب وخلاف الشبه فإن قلت: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها؟ قلت: لأنها بيان لعدلك. فإن قلت: بم يتعلق الجار؟ قلت: يجوز أن يتعلق بركبك. على معنى: وضعك في بعض الصور ومكنتك فيه، وبمحذوف أي ركبك حاصلًا في بعض الصور؛ ومحلّه النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك، ويكون في (أي) معنى التعجب^(١)، أي فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك. أي ركبك ما شاء من التراكيب، يعني تركيبًا حسنًا.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ كَلَّا ﴾ ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به. وهو موجب الشكر والطاعة، إلى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية. ثم قال: ﴿ بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ أصلا وهو الجزاء. أو دين الإسلام. فلا تصدقون ثوابًا ولا عقابًا وهو شرٌّ من الطمع المنكر ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكتابيون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور؛ ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة^(٢) ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ كقوله: ﴿ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧]، ويجوز أن يراد: يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك، يعني: في قبورهم، وقيل: أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازي فيها، وحال البرزخ وهو قوله: ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿١٩﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾ ﴾

(١) قوله: «معنى التعجب» لعله: التعجب. (ع)

(٢) قوله: «وتشوير العصاة» أي إخجالهم كذا بهامش وفي الصحاح «الشوار» الفرع. ومنه قيل: شور به أي كأنه أبدى عورته. (ع)

يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة/٢/٢٥٦ب
وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل، ثم أجمل القول في
وصفه فقال ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَعِيًّا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا
أمر إلا الله وحده. من رفع فعلى البدل من يوم الدين، أو على: هو يوم لا تملك. ومن
نصب فبإضمار يدانون؛ لأنّ الدين يدل عليه. أو بإضمار اذكر. ويجوز أن يفتح لإضافته
إلى غير متمكن وهو في محل الرفع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء
حسنة وبعده كل قبر حسنة» (١٧١٩).

١٧١٩ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.